نشيد التشاؤم

****

سلام لاوطاني وخير وراحة ، سلام لسكان المروج الخصيبة
سلام عَلَى مصر ، وللشام مثله سلام عَلَى آثار «منف» و«طيبة»
للبنان والشيخ الشقيقين عزة عَلَى قمة الطودين قدماً تجلت
سلام عَلَى مجدٍ بناه بنوهما بطعن القنا والضرب بالمشرفية
سلام عَلَى مهدي القديم وطفله ، سلام عَلَى احلامه الذهبية

. . . .

احييك يا ماضي المسرة والهنا تحية ذي وجدٍ عَلَى قبر ميتِ
ولي عين مرمي باعظم نكبة ومهجة مسبي بارض غريبة
شقيقان لم تبقِ الكآبة منهما سوى عبرةٍ تجري وقلب مفتت
فيا عين لاتبكي عَلَى فقد موطنٍ ويا قلب لا تشكُ فراق الاحبة
ففي كل ارضٍ لي حبيب ومنزل كذاك جميع الناس اهلي واخوتي
ولا بد بعد الابتسام من البكا ، وبعد انتظام الشمل من هول فرقة
وبعد نهار الانس من ليل وحشة ، وبعد رجاء الحلم من يأس يقظة
ولكنني استيقظت حيث وجدتني اسير شقا عمر واغلال سنة
تبيح المعالي للئام تزلفاً وتبعد غايات النفوس الكبيرة
فلما رأيت الحب والصدق والوفا بناصية الدينار نيطت وشدتِ

وللناس من عظم التزاحم حوله زئير الضواري ابصرت جوف جيفة
لعنت البقا من شدة اليأس ساخطاً وضاع يقيني بين يأسي ولعنتي
ورحت وفي نفسي نزوع الى الخلا وللجسم مني في البلى خير رغبة
وحولت نحو الله وجهي لعله بيث يقيناً في ارتيابي وحيرتي
اذا بي وللاسرار حولي ضجة ازاء حجاب دونه العين كفت
فحطمت مقياسي ونثرت يائساً دقائق برهاني وعقلي وحجتي
وعدت الى نفسي بنية معرض عن العلم بالاسرار احمد عودتي
ومزقت آمالي وصحت مودعاً رجائي وايماني ونور بشاشتي
هو الظلم الا يملك المرء قطعة من الارض او حقلاً على سفح قمة
يباكره عند الصباح بمعول ويتركه لله عند العشية
ينشقه الفردوس من طيب نفحه وينفحه عفواً باهناً بلفة

. . . .

أبا البوءس ، لو ابصرتني له منصفاً امد له كفي على رغم حاجتي
منيراً دجى الاكواخ مني ببسمة ، مقيلاً لعثرات القلوب الكسيرة
وشاهدتني يوماً على الدين ساخطاً احطم من اصنامه الحجرية
مثيراً على شيطان كل خرافة ملائك اشعاري واشباح نقمتي
طروباً على رنات شعري كارهاً تسابيح عشاق الخمور العتيقة
لابدى رميم الجسم منك ابتسامة على الرغم من فتك البلى بالطبيعة

. . . .

ولكنَّ بعض الناس انكر همتي وعقَّ بنو الاعدام عهدي وذمتي
اذا ما ضحى من كوَّة الافق اشرقت وتمت من الافلاك آخر دورةِ
واوقد جبَّار الفضاء اتونه واغرق سيل النور جسم البسيطة
أتعجبُ ان لم يتصل حبل نورها بعين الكفيف الجاهل المتعنت ؟
فما انا الا التائه العقل والنهى ال كثير البكا الصادي الى رشف قطرة
من الحب والراجي ببيداء بلقعٍ ينابيع ماء تنعش النفس حيةِ
وما انا الا قطرة من سحابة تجوب الفضا الادنى ونفحة زهرة
وعين ترى ما ليس يقدر ان يرى سواها من الاشباح في كل ذرَّةِ
وظل خيالٍ سار في ظلمة الورى ورا نور آمالٍ وليل كآبة
وسر اذاعته وقد كان غامضاً حوادث اجيالٍ لمجهول علة
فيا ليت نفسي لم تفز من جنينها بأوىً ومنها لم يفز بزيارةِ
ويا ليت جسمي انحلَّ في البطن قبلما تعدى تخوم الحس والجاذبية
هنيئاً لنفس بعد يأسٍ تمردت بيأسٍ وللاستار والحجب شقت
كأني وقد راحت تفارق جسمها بنور بدا للعين شبه حمامة
تمزق استار الهوا باندفاعها وتخرق منه طيةً بعد طية
وما برحت تبغي العلى بارتفاعها الى ان بدت اعماقه فاستقرت
فللهيكل المتروك في قبضة الفنا سلام وللباقين ابلغ عبرة

. . . .

يقولون في الدنيا جمال وراحة فلا حسن يبدو لي ولا شبه راحة

حجاب على عيني من اليأس اسود ... يصورها قبحاً نعين بصيرتي
فكم مشهد فيها له اسود ناظري ... وأنّت له روحي وذابت حشاشتي
سينهدم المحراب في كل مسجدٍ ... ستنسحق الاصنام في كل بيعة
سيسطع نور الحق بعد انحجابه ... سيخرق صدر الظلمة المدلهمة
سينزع مجد التاج عن كل هامة ... سيهوي جناح العرش من كل سلطة
ستتقطع الاوتار في يدِ منشدٍ ... سينسحق القيثار في كف قينة
سيسمع للعصفور صوت مزمجر ... ستجتنب الاشبال بطش الفريسة
سينهزم الجبار من حومة الوغى ... مخافة فتك الطفل فيه بذلةِ

(ابو الهول) « عيسى توما خنفور »

المساء

يا حاصد الزرع ألقِ الحبل والمنجل ... الشمس غابت واستار الدجى تسدل
والرب بارك يا فلاّح ما تعمل ... فقل اذا اطربتنا رنّة الجرس
ما اعظم الكون يا ربي وما اجمل
الصمت ساد على الوديان والأكمِ ... والطير عادت الى الاوكار والاجمِ
والنفس تاقت الى الاحلام في الظلمِ ... فارجع الى الكوخ واجلس بين اولادك
ونم خلياً من الاحزانِ والندمِ

لو كنت تعلم ما القى من الزمنِ ... وما قاسي من الاهوالِ والمحنِ
لكنت تبكي عَلَى نائٍ بلا سكنِ ... يشتاق لبنان والاقدار توقفهُ
عن الرجوع فوا شوقي الى وطني

« الحمراء » الياس طعمه

بربى لبنان

***

ذكّروه بالحمى فارتعشا ... وهو كالمجنون
مغرم في الحب قِدماً قد نشا ... قلبه المحزون
لا تلوموه فذا صبٌّ سقيم ... نازح مسكين
ليس يحييه سوى ذاك النسيم ... في حمى صنين
يرقب الافلاك انجنّ الظلام ... في حشاه نار
وهو يحسو الخمر مضنى كالينام ... ينشد الاشعار
لم تزده الكاس الا عطشا ... ابداً ظمآن
يتغنى عمره كيف مشى ... بربى لبنان

« السائح » (رشيد ايوب)